ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 10, No. 1 || January -June 2025|| P. 87-114
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

الاستفهام البلاغي (ديوان الهذليين أنموذجًا)

RHETORICAL INTERROGATION: (A CASE STUDY OF THE DIWAN OF THE HUDHAYL TRIBE)

رهف حسين * أ.د عبد الرحمن أوزدمير *

ABSTRACT:

This study examines one of the rhetorical devices discussed *in classical Arabic linguistic literature: the interrogative style, which is renowned for its powerful rhetorical impact. The research explores how early Arab linguists presented this style—often dispersed throughout their works and not treated as an independent topic—particularly in their analyses of Umayyad speeches, which were marked by a rich variety of rhetorical techniques, including interrogation. This necessitated collecting and classifying the scattered material and investigating whether classical scholars had ever devoted a separate chapter to it. The study affirms the significance of this style in reinforcing meaning and shifting it from its literal sense to various figurative rhetorical purposes that can be inferred from context, as indicated—explicitly or implicitly—by rhetoricians, linguists, and exegetes, supported by illustrative examples.*

KEYWORDS: Classical Arabic studies – Interrogation – Rhetorical purposes – Context – Hudhayl poets

الكلمات المفتاحية: الدراسات القديمة، الاستفهام، الأغراض البلاغية، السياق، الهذليون.

* Rahaf Hüseyin, Fatih Sultan Mehmet Vakif Üniversitesi, Temel Islam Bilimleri Bölümünde, Doktora Öğrencisidir

طالبة دكتوراه في جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، قسم العلوم الإسلامية الأساسية

** Prof. Dr. Abdurrahman ÖZDEMİR, Fatih Sultan Mehmet Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi - Temel İslam Bilimleri Bölümü, aozdemir@fsm.edu.tr

بروفيسور الدكتور عبد الرحمن أوزدمير، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، كلية العلوم الإسلامية – قسم العلوم الإسلامية الأساسية

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 10, No. 1 || January -June 2025|| P. 87-114
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

الملخص:

يقف البحث على أحد الأساليب البلاغية التي تناولتها كتب العربية القديمة، وهو الأسلوب الاستفهامي المعروف بقوَّة تأثيره الخطابي. وقد تناول البحثُ طريقة عرض أهل اللغة لهذا الأسلوب، إذ كان متفرقًا في ثنايا كتبهم، لا مقصودًا لذاته، كما في تحليلهم للخطب الأموية التي تميَّزت بتنوع الأساليب البلاغية، ومنها الاستفهام، ممَّا استدعى تجميع المادة وتصنيفها، كما وقف على ما إذا كان العلماء قد أفردوا له بابًا يجمع شَتاته. وقد أكَّد البحثُ أهمية الأسلوب في تقوية المعنى، وإخراجه عن مقتضى الظاهر إلى أغراض بلاغية متعددة، يُستدلُّ عليها من السياق، كما أشار إليها البلاغيون واللغويون والمفسرون تصريحًا أو تلميحًا، مقرونةً بالأمثلة التي توضحها.

المقدِّمة:

بسم الله، والحمد لله سبحانه وتعالى أولًا وآخرًا، وصلاةً وسلامًا على النبي المصطفى، محمد بن عبد الله، المبعوثِ بالبيان المعجز، فكان كلامه سحرًا، وبيانه هديًا ونورًا، وعلى آله الطيبين المباركين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنَّ البلاغةَ روح اللغة، ومفتاحُ أسرارها، وهي السبيل إلى فهم دقائقها وإدراك جمالياتها. وهي العلمُ الذي برزت بفضله فصاحةُ العرب، وتبيَّن إعجازُ القرآن في نظمه وعمق معانيه. ومن أبهى تجليات البلاغة في النَّصوص العربية — وفي القرآن الكريم خاصة— أسلوب الاستفهام، الذي لا يُفهم على ظاهره دائمًا، إذ تتعدَّد أغراضه، وتتنوّع دلالاتُه، فيخرج من معناه في طلب الفهم إلى معانٍ أعمق: كالإنكار، والتعجب، والتقرير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، وغير ذلك من الوظائف التي تزيد النَّص فاعليةً وجمالًا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في قدرته على تتبّع تطوّر الاستفهام البلاغي في التراث العربي من زاويتين: نظرية وتطبيقية. فعلى المستوى النظري، يعالج أسلوب الاستفهام وأغراضه البلاغية، من خلال متابعة جهود العلماء القدامى وَفق تسلسلٍ زمنيٍّ يراعي التحوّلات

الفكرية والمنهجية في تناول هذا الأسلوب البلاغي، بدءًا بأبي عبيدة والفرَّاء والمبرِّد الذين تناولوا هذا الأسلوب ضمن السياقات العامة دون تخصيص، وصولًا إلى جهود المتأخرين في الحديث عن الأغراض البلاغية للاستفهام. أمَّا على المستوى التطبيقي، يتتبع البحث بعض الأغراض البلاغية في ديوان الهذليين، من خلال تحليل مجموعة مختارة من النماذج الشعرية بُغية الكشف عن براعة الشاعر العربي في توظيف الأساليب البلاغية.

منهج البحث:

سلكت الباحثة في هذا البحث مناهج متعدِّدة بحسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع؛ فقد اعتمد في البداية على المنهج التاريخي في تتبع تطوُّر المبحث الاستفهامي، واستند إلى المنهج الوصفي التحليلي في رصد الظاهرة البلاغية داخل النصوص، ومن ثمَّ تحليلها وبيان الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام، مستفيدًا في ذلك من شروح العلماء. كما استعانت الباحثةُ بالمنهج المقارن لإبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين العلماء في تناولهم الاستفهام من حيث المفاهيم، والأمثلة، والتصنيفات البلاغية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى رصد بدايات تناول الاستفهام في كتب البلاغيين واللغويين القدامى، وبيان الجهود التي بذلها بعض العلماء في دراسةِ هذا الأسلوب البلاغي، مع الوقوف عند مناهجهم في عرضه وتحليله. كما يسعى إلى الكشف عن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام، ويوكد على دوره في إبراز الغرض البلاغي وتعزيز الأثر الخطابي في النَّص. ويُتوَّجُ البحث بعرض نماذج تطبيقية من ديوان الهذليين، تظهر كيفية توظَّيف الشعراء هذا الأسلوب للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، في محاولة للربط بين الجانب النظري والعملي.

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 10, No. 1 || January -June 2025|| P. 87-114
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

التمهيد:

انبثقت ملامح البلاغة الأولى في الشعر الجاهلي، حيث حرص الشعراءُ على تنقيح ألفاظهم، وصقل أساليبهم، فكانوا يبدلون اللفظ بالأنسب، ويستعيضون عن الأسلوب بما هو أبلغ وأفصح، حتى استوى لهم الكلام في أرقى صورِ البيان. ومن يتأمل شعرهم يلحظ تنوَّع الأساليب البلاغية، من تشبيه واستعارة وكنايةٍ وغيرها، في دلالة على وعيهم بجماليات التعبير. ولمّا كانوا أهلَ فصاحة وبيان، أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، جامعًا لأرقى فنون البلاغة، ليكون حجةً عليهم وتحديًا لهم في ميدان يتقنون أدواته.

المبحث الأول

تعريف الاستفهام لغةً واصطلاحًا

الاستفهام لغًة

الفعل "استفهم" مشتقٌ من "فهم"، يستخدم في سياقِ طلبِ الفهم أو التوضيح، ويعدُّ مرادفًا للاستخبار والاستعلام، كما في قولهم "استفهمني الشيء فأفهمته، وفهّمته تفهيمًا"،[1] وقد يُستعملُ بمعنى الإيضاح والتبيان.[2]

اصطلاحًا

شهدت كتب التراث العربي تداخلًا واضحًا بين علوم البلاغة والنحو واللغة والأدب، إذ لم تكن العلوم مفصولةً كما في المصنفات الحديثة، بل جاءت متشابكة في عرضها وتحليلها. ويعدُّ كتاب سيبويه (ت: 132هـ/750م)، مثالًا على هذا التداخل؛ فهو لم يؤلِّفه في النحو وحده، بل جاء موسوعة شاملة تناولت قضايا بلاغية وأدبية وصرفية، بأسلوبٍ تحليلي، خالٍ من التقسيمات المصطلحية المعروفة في البلاغة

[1] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، 1987م)، 2005.

[2] رينهارت بيتر آن ديُوزِي، تكملة المعاجم العربية، تع. محمَّد سَليم النعَيمي، ط1، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 2000م)، ج.8، ص.130.

المتأخرة، وقد تجلَّى هذا النهج في عدة مؤلَّفات أخرى، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: 209هـ/824م)، والكامل للمبرّد (ت: 285هـ/898م)، وغيرهما.

لقد نال أسلوبُ الاستفهام عنايةً كبيرة لدى اللغويين والبلاغيين وحتى المفسرين الأوائل، نظرًا لأهميته البارزة في علم المعاني، لا سيما من حيث أدواته ووظائفه البلاغية. ويبرز ذلك الاهتمام في قولُ ابن جني في الخصائص، عند إشارته إلى قدرة أدوات الاستفهام، كـ "كم" على اختزالِ المعاني الكثيرة في لفظٍ واحد، إذ إنَّها تُغني عن الإطالة والتفصيل، ما يعكس وعيًا مبكرًا بقيمة الاختزال والإيجاز في التعبير، ويؤكد البعد البلاغي العميق الذي ارتبط بأسلوبِ الاستفهام منذ بدايات التأليف في علوم اللغة.

المبحث الثاني

ملامح الاستفهام في كتب اللغويين

يعدُّ أسلوب الاستفهام من الأساليب البلاغية البارزة في النصوص الدينية والأدبية، وقد ورد كثيرًا في القرآن الكريم، لا سيَّما في محاورات المشركين والكافرين، وفي خطاب المؤمنين لتقرير الأحكام. ويجب التنويه إلى أنَّ الاستفهام الوارد على لسان الله سبحانه تعالى لا يُرادُ به طلب علم، بل تُفهمُ دلالاته من السياق كالتعجب أو الإنكار أو التوبيخ أو التقرير، وغير ذلك...، أمَّا ما ورد على ألسنة البشر فقد يكون استفهامًا حقيقًا نقله الله عزَّ وجل عنهم، كما في قول المشركين عن إبراهيم: ﴿قالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾،[3] أو مجازيًا بحسب السياق. وقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلَّم هذا الأسلوب؛ لكونه وسيلةً فعَّالة في دعوته، ولما له من أثر

[3] القرآن الكريم، الأنبياء: 59.

تعليمي وتأثير خطابي.

ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، خاصَّة السياسية منها، وذاع فيها صيت الخطباء، إذ اتسمت بالمنطق والإقناع، وممن ذاع صيته صحار العبد الذي عرف بجوابه البليغ حين سأله معاوية "ما الإيجاز"؟ فقال: هو أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ".[4] في حين لم تفردْ المؤلفات في القرون الأولى كتبًا مستقلة في البلاغة، بل كانت تُستنبط ملامحها من كتب التفسير واللغة والأدب، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، إذ كان يعلّق على التراكيب اعتمادًا على النصوص الأدبية، ويستعين بالآيات القرآنية للاستدلال على المعاني المجازية.

تابع المبرّد في كتابه "الكامل" منهج المزج بين الأدب واللغة والبلاغة، فاستعرض أقوال العرب وشرحها بأسلوب تحليلي، مستفيدًا من أعمال من سبقه كالفرَّاء (ت: 207هـ/823م) وأبي عبيدة وسيبويه، مستعملًا أسلوبَ السؤال والجواب لتقريب المعنى. ومن أمثلته نقله سؤال نافعٍ لابن عبَّاس عن معنى "الزنيم"، وإجابته بأنه "الدعي المُلزق"[5]. كما تناول مسائل بلاغية كجواز حذف أداة الاستفهام عند وجود قرينة.[6]

بدأ في نهاية القرن الثالث الهجري ظهور مصطلح "الاستخبار" كمرادفٍ

[4] عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيُّن، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2002م)، ج.1، ص.98.

[5] محمد بن يزيد المبرِّد، الكامل في اللغة والأدب، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1997م)، ج.3، ص.164.

[6] المبرِّد، الكامل، ج.2، ص.181.

للاستفهام في بعض الكتب الأدبية، مثل كتاب قواعد الشعر لثعلب (ت: 291هـ/904م)، حيث ذكره ضمن عناصر الشعر دونَ تفصيلٍ يُذكر. في حين تناول ابن فارس (ت: 395هـ/1005م) في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" الموضوعَ بتوسعٍ، معتبرًا الاستخبار مرادف الاستفهام، لكنَّه فرَّق بينهما بفرق دقيق، وهو أنَّ الاستخبار يكون لطلب العلم بشيء ابتداءً، أي لا تعلمه مسبقًا، أمَّا الاستفهام فيأتي عند تكرار السؤال بسبب عدم الفهم، مستدلًا على ذلك بأنَّ الله سبحانه وتعالى يُوصف بالخُبر لا بالفهم.[7]

ملامح الاستفهام في كتب البلاغيين

مرَّ تناول البلاغيين لأسلوب الاستفهام بعدة مراحل، ففي البداية لم يفرد الجاحظ (ت: 255هـ/869م)، لهذا المبحث البلاغي دراسة مستقلة، بل كان يتناوله ضمن السياقات الحوارية والجدلية، إذ برز دوره في الاستدراج المنطقي لإثبات الحجة،[8] كما في مناظرته حول خلق القرآن، فقد كان الاستفهام أداةً لإحراج الخصم وإظهاره بمظهر المتناقض. بينما غاب الاستفهامُ عند ابن المعتز كموضوع مستقل رغم اهتمامه بفنون البلاغة، وإن ظهرت له إشارات ضمنية في عرضه لمقولات تحمل طابعًا استفهاميًا.[9]

[7] أحمد بن زكرياء ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، ص.135.

[8] عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل، تح. عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964م)، ج.4، ص.37

[9] عبدالله بن محمد، ابن المعتز، البديع في البديع، ط1، (بيروت: دار الجبل، 1990م)، ص.78.

في حين قدّم **أبو هلال العسكري** تعريفًا تقليديًا للاستفهام بوصفه طلبًا يقع ممن جهل أمرًا،[10] دون الخوض في أغراضه البلاغية. كذلك لم يخصِّص **الرماني** للاستفهام مبحثًا واضحًا، إنَّما أشار إليه ضمن حديثه عن البلاغة القرآنية،[11] بينما أسَّس **عبد القاهر الجرجاني** لتناول المبحث بطريقة أعمق، فاهتمَّ بالبنية النحوية للأسلوب الاستفهامي، وناقش أثر التقديم والتأخير في المعنى، وبيّن كيف يُستخدم الاستفهام للتقرير أو الإنكار أو التوبيخ، معتمدًا على الذوق البلاغي في استنباط المعاني.[12] في حين منح السكاكي مبحث الاستفهام مكانة واضحة ضمن أبواب علم المعاني، فصنَّف أدواته بين ما يفيد التصور والتصديق، وتحدث عن خروجها عن المعنى الأصلي إلى أغراض بلاغية[13] طوَّرها القزويني بعده.[14]

وهكذا يتبين أن أسلوب الاستفهام تطوَّر من مادة متناثرة في الكتب القديمة، إلى مبحثٍ بلاغي قائمٍ بذاته، تُدرس أدواته وأغراضه من خلال سياق بلاغي محكم.

---

[10] أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1992م)، ص.48.

[11] علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، النكت في القرآن الكريم، تح: محمد خلف الله – محمد زغلول سلام، ط3، (مصر: دار المعارف، 1976م)، ص.507.

[12] عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط3، (القاهرة: مطبعة المدني، 1992م)، ج.1، ص.116 – 118.

[13] يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضب – تع: نعيم زرزور، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، ص. 308 – 317.

[14] جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ج.3، ص.73.

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 10, No. 1 || January -June 2025|| P. 87-114
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

المبحث الثالث

أولًا: الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام

إنَّ الاستفهام البلاغي – الذي يخرج عن معناه الأصلي إلى أغراضٍ تفهم من السياق – من الموضوعات التي اهتمَّ بها علماء العربية، وقد وردت فيه إشارات في كتب التفسير والأدب واللغة والبلاغة، وقد أوصلها البعضُ لأكثرَ من أربعة وعشرين غرضًا

تتلخص أغراض الاستفهام المجازية فيما يأتي:

1- استفهام تقريري: "هو الاستفهامُ الذي لا يريدُ الْمُخَاطِبُ به أن يُفهِمَ الشيءَ، وإنما يريدُ أن يَحمِلَ المخاطَب على أن يُقِرَّ ويقولَ: بلى، ويقرَّ بالحقيقةِ"،[15] ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً﴾[16] حيثُ أشار بعض البلاغيين ومنهم ابن فارس إلى أنَّ الاستفهام في صيغة النفي يفيدُ التقرير،[17] بخلاف الإثبات الذي يدلُّ على الإنكار.[18]

2- استفهامٌ إنكاري: وهو الاستفهام الذي يُنكر فيه على المخاطب ويُستهجن ما صدر منه في الماضي، أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل،[19] ومنه قوله تعالى: ﴿أَإِلَهٌ

[15] محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، تح: خالد بن عثمان السبت، ط5، (الرياض: دار عطاءات العلم، 2019 م)، ج.2، ص.265.

[16] القرآن الكريم، الشعراء: 18.

[17] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، 293.

[18] فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط4، (يرموك: دار الفرقان، 1997م)، ص.194.

[19] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص.194.

مَعَ اللَّهِ﴾.[20] وقد ذكر ابنُ فارس أنَّ الهمزة أقوى أدوات الاستفهام الإنكاري. كما أنَّ العديد من البلاغيين أشاروا إلى مقاصد أعمقَ وراء الاستفهام الإنكاري كالتوبيخ مثلًا.

3- استفهام توبيخي: إن كان في الاستفهام لومٌ يُمكن تداركه؛ فهو استفهامٌ إنكاريٌ توبيخي، وإن لم يمكن تداركه فهو استفهامٌ للتقريع، كقولك لمن مات عنده شخص جائعًا: "ألم تطعمه حتى مات؟".[21]

4- استفهام يفيد الأمر أو النهي: إن كان في الاستفهامُ أمرٌ يمكن تداركُه فهو أمرٌ ونهيٌ بصيغة الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾،[22] أي فأسلموا الآن، ومنه ما أخبر به سبحانه وتعالى من قول إبراهيم لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾،[23] أي فمِنَ الآن لا تفعلوا.[24]

وكثيرًا ما يقترن التوبيخ بالتعجب، ومنه ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن المشركين:[25] ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.[26]

5- استفهام تشويقي: وهو الأسلوبُ الذي يحاول المخبر من خلاله أن يشوّق السامع إلى سماع الخبر، مدغدغًا فضوله ومحفِّزًا إياه على الاستفهام؛ إذ يطرح

---

[20] القرآن الكريم، النمل: 61-63-64.

[21] عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي، التعقيب على تفسير سورة الفيل للفراهي، تح. محمد أجمل الإصلاحي، ط1، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 2013م)، ج.8، ص.123.

[22] القرآن الكريم، آل عمران: 20.

[23] القرآن الكريم، الصافات: 95.

[24] المُعَلِّمي، التعقيب على تفسير سورة الفيل للفراهي، ج.8، ص.123.

[25] المُعَلِّمي، التعقيب على تفسير سورة الفيل للفراهي، ج.8، ص.123.

[26] القرآن الكريم، ص: 5.

السؤال ويجيب عنه في كلام يليه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،[27] فالآية الأولى شوَّقت المخاطبين لسماع الخبر الوارد في الثانية، وعليه: إنَّ الاستفهام في الآية لم يكن مقصودًا؛ لأن الخبر مُلقى من السائل أساسًا.[28]

6- استفهام عتاب: يُستعملُ أسلوب الاستفهام أحيانًا لإظهار عدم الرضا عن سلوك معين، سواء أكانَ فعلًا أو تركًا، ولكن بأسلوبٍ لطيف يخفِّفُ من حدته، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمنوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق وَلَا يَكُونُواْ كالذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمد فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾،[29] إذ جاء الاستفهام هنا عتابًا رفيقًا لطائفةٍ من المؤمنين طالَ بهم الأمدُ بعد الإيمان، دون أن ترتقي قلوبهم إلى الخشية العميقة لله وذكره.[30] فالاستفهام لا يُرادُ به الاستعلام، بل هو توبيخ ضمني يحمل الرحمة، ويحفّزُ النَّفس على العودة إلى الإيمان الصادق والخشوع الحقيقي. في حين أوردَ الرازي، في تفسيره أنَّ الاستفهام في الآية يحمل معنى الحثِّ على المعاودة إلى الخشوع بعد أن تركه أصحابه لمدة.[31]

---

[27] القرآن الكريم، الصف: 61، 10-11.

[28] محمد أحمد قاسم – محيي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، (طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2003م)، ص.298.

[29] القرآن الكريم، الحديد: 27.

[30] عبد الرحمن ابن حسن حبنَّكة، البلاغة العربية، ط1، (دمشق: دار القلم، 1996م)، ج.1، ص.280.

[31] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، (بيرت: دار إحياء التراث العربي، 1999م)، ج.29، ص.460.

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 10, No. 1 || January -June 2025|| P. 87-114
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

7- استفهام افتخار: قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليُفيد الافتخار كما في قوله: ﴿ونادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يا قوم أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وهاذه الأنهار تَجْرِي مِن تحتي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟[32] فقد ورد الاستفهام في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ للدلالة على الافتخار والتباهي بعظمته وسلطانه،[33] وذلك حين خشيَ فرعون أن يتأثَّر قومه بدعوة موسى عليه السَّلام، فحاولَ صرْفَ أنظارهم عن الحقِّ بالتركيزِ على ما يراه من عناصر قوَّته وبطشه، فهو لا يطلب جوابًا حقيقيًا، بل يسعى إلى انتزاع إقرار قومه في جماهيرية غوغائيّة بتفوّقه على مُوسَى، وَلِلَفْتِ أنظارهم إلى عناصر التفوّق التي يريد أن يخدعهم بها عن الحقيقة، ولَيْسَ لمطلق الافتخار، وقد يكون فيه رائحة ٱفتِخَار".[34]

8- استفهام المدح والتفخيم والتعظيم: قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليؤدي وظيفة التفخيم والتعظيم، إذ تلجأُ النَّفسُ إلى التعبير عن دهشتها وإكبارها لأمرٍ عظيمٍ من خلال أسلوبٍ استفهامي يوحي بعظمة الموصوف. من ذلك قول المتني في مدح كافورك:

"وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أحْجَمَتْ؟ وَكانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِي"[35]

فالسؤال هنا ليس حقيقيًا، والغرض منه التفخيم، إذ يبرزُ ندرة الممدوح وشجاعته،

[32] القرآن الكريم، الزخرف: 51.

[33] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، التفسير البسيط، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1، (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2009م)، ج.4، ص.76.

[34] حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، ج.1، ص.283.

[35] أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تح. سعيد المولوي، ط1، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2008م)، ص.1315.

والقرينة الدالة على المعنى هي سياق المدح.[36]

ومثله أيضًا قول "حُبَّى بنت كعب" في وصف زوجها: (زوجي مالك وما مالك) وكأنَّها تقول: إنَّ وصفه يتجاوز حدود الكلام، فلا يُدرك قدره بسهوله فهو أمر عظيم يصعُبُ التعبير عنه.[37]

9- استفهامُ تسوية: قد يجري الاستفهام مجرى التسوية، والتسوية تعني: "تصيير الشيء على مقدار غيره"[38] ومن ذلك قول الشاعر:

"سواء عليه أيّ حين أتيته أساعة نحس تتّقى أم بأسعد"[39]

فالأسلوبُ أسلوب استفهام، لكنْ لا يُرادُ به الاستفهام الحقيقي، إذ لا فرقَ عند الشاعر بين مجيئه في وقت سعادة أو شؤم؛ لأنَّ كلا الحالتين سواء لديه.

ومثل ذلك أيضًا قوله جلَّ علاه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،[40] فالآية وإن اشتملت صيغةٍ استفهامية، إلَّا أنَّ المقصود هو التسوية بين الأمرين: الإنذار وعدمه، وذلك لأنك عندما تستفهم تقول مثلًا: "أَزيد عندك أم خالد" فالسؤال: (أيُّهما عندك؟) فهما عندك مستويان دون أن يكون أحدها أحقَّ بالسؤال من الآخر، كذلك لمّا جاءت التسوية في قوله ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أشبه بذلك الاستفهام، إذ

[36] حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، ج.1، ص.284.

[37] جلال الدين السيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح، تح. رضوان جامع رضوان، ط1، (الرياض: مكتبة الرشد، 1998م)، ج.7، ص.3271.

[38] محمد بن الحسن أبو بكر ابن فورك، تفسير ابن فورك، تح: علال عبد القادر بندويش، ط1، (السعودية: جامعة أم القرى، 2009م)، ج.3، ص.228.

[39] أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري التيمي، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزگين، (القاهرة: مكتبة الخانجى، 1961م)، ج.2، ص.157.

[40] القرآن الكريم، البقرة: 6.

أشبهه في التسوية، ومثلها ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ"[41]

10- استفهامُ التهديد والوعيد: قد يخرجُ الاستفهام عن معناه الأصلي ليدلَّ على الإنكار المصحوب بالتهديد أو الوعيد، وذلك حين يُستخدمُ للاستنكار على فعلٍ قبيح مع تضمين معنى الزجر والوعيد كما أشار إليه الخطيب[42] خلال تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾،[43] قال أبو جعفر الطبري: المراد بالاستفهام هنا الإنكارُ الشديدُ على من يأخذ من زوجته ما سبق وأعطاها إياه من صداق بعد أن عاشرها، وقوله: "وقد أفضى بعضكم إلى بعض" أي تباشرتم وتلامستم. فالكلام كما يقول الرجل لآخر: "كيف تفعل كذا وكذا، وأنا غير راضٍ به؟ على معنى التهديد والوعيد".[44]

11- استفهامُ استئناس وتلذُّذ: قد يُلقي المتكلم استفهامًا لا يقصدُ به طلب العلم بشيء، إنَّما يذكره إيناسًا وتثبيتًا للسامع وتوثيقًا لشيء يشير إليه،[45] فالاستفهام في

[41] أبو الحسن المجاشعي الأخفش الوسط، معاني القرآن للأخفش، تح: هدى محمود قراعة، ط1، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990م)، ج.1، ص.31.

[42] عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1970م)، ج.10، ص.178.

[43] القرآن الكريم، النساء: 21.

[44] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م)، ج.6، ص.540.

[45] منصور بن محمد السمعاني، تفسير السمعاني، تح. ياسر بن إبراهيم – غنيم بن عباس بن غنيم، ط1، (الرياض: دار الوطن، 1997م)، ج.3، ص.325.

قوله عزَّ وجل: ﴿وما تلك بيمينك يا مُوسى﴾،[46] خرج إلى معنى الاستئناس، لأنَّ الله عزَّ ذكره عالمٌ ما بيده، لكنَّ موسى أراد أن يطيل مناجاته مع ربَّه "ليزداد بذلك شرفًا وفضلًا"[47]

12- استفهامُ تكثير نَحْو قوله تعالى:[48] ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أهلكناها﴾.[49]

13- استفهامُ ترغيب: يمكن أن يُستعمل الاستفهام للدلالة على الترغيب كما في قوله جلَّ علاه: ﴿مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً والله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[50] أي: "ارغبوا في هذا الثواب العظيم فأقْرِضوا الله قرضاً حسناً".[51]

14- استفهامُ دعاء: يشبه هذا النَّوع النهي، لكنه يكون من الأدنى إلى الأعلى، ومنه قول سبحانه وتعالى على لسان موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ﴾[52] ومعناه "لا تُهلكنا[53]

15- استفهامُ استرشاد: وهو طلب الرشاد، ومنه قوله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إِذَا

---

[46] القرآن الكريم، طه: 17.

[47] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 م)، ص.133.

[48] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج.1، ص.331.

[49] القرآن الكريم، الأعراف: 4.

[50] القرآن الكريم، البقرة: 245.

[51] حبنكة، البلاغة العربية، ج.1، ص.290.

[52] القرآن الكريم، الأعراف: 155.

[53] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م)، ج.3، ص.272.

رَكِبَا فِي السفينة خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾؟ [54] حيث أخرج إبراهيم عليه السلام السؤال هنا مخرج الاسترشاد وإن كان مشعرًا بالاعتراض والاستشكال.[55]

16- استفهامُ استبطاء: يُستخدم الاستفهام أحيانًا للدلالة على الاستبطاء، وهو أحدُ المعاني المجازية المتولدة عنه، إذ يقصد به المتكلم التعبيرَ عن تأخر أمرٍ ما مع انتظاره بفارغ الصبر، ويقترن ذلك بطلبٍ ضمني وتعريضٍ بعدم تحققه" وهي "خاصية يقصدها البليغ في مقام يقتضيه".[56] ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ألم يَأن للَّذين آمنُوا﴾،[57] إذا يحملُ الاستفهام في الآية استبطاءً لحالهم، وتذكيرًا بطول المدة التي قضوها دون أن تخشع قلوهم لله.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿متى نَصْرُ الله﴾[58] فالسؤال في الآية لا يُقصدُ به طلبُ العلم بموعد النَّصر، بل الإلحاحُ على استعجاله، وتعبيرٌ عن معاناة طالَ أمدُها. وفي مثل ذلك أيضًا قول القائل: ألم ترَ قولك: كم أدعوك؟ يعني أنني دعوتك دعاءً وصل إلى عدد لا أعلمه، "والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثُر فلم يعلمه، وفي طلب فَهْم عدده ما يُشعر بالاستبطاء".[59]

17- استفهامُ العرض: قد يجري الاستفهام مجرى العرض، وهو أسلوب يُقصد

---

[54] القرآن الكريم، الكهف: 71.

[55] حبنكة، البلاغة العربية، ج.1، ص.292.

[56] أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة 1998م)، ص.422.

[57] القرآن الكريم، الحديد: 16.

[58] القرآن الكريم، البقرة: 214.

[59] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج.1، ص.232.

به الطلب برفق ولين،[60] حيثُ لا يأتي الأمرُ صريحًا بل يُعرضُ بطريقة تؤثِّر في المخاطب وتستميل قلبه. ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾،[61] فالآيةُ لا تقدِّمُ أمرًا مباشرًا، بل تفتحُ باب التذكير والعرض الرقيق. فهي دعوة ليغفرَ الله ذنوبكم ويستركم؛ لو امتثلتم لأمره واستغفرتم لذنب أذنبتموه أو هفوة تبتم عنها.[62]

18- استفهامُ التحضيض: وهو استفهام يُرادُ به الحثُّ على الفعل أو اللوم على تركه، وأدواته: لولا وهلّا، وألّا. وهذه الأدوات تدخل على الجمل الفعلية التي فعلها ماضٍ أو مستقبل إن كان الغرض منها للتحضيض: فإن دخلت على فعل مستقبل، كان الغرضُ منها التحضيضُ على الفعلِ والحثُّ على إنجازه، كما في قول المعلم لتلميذه المقصِّر: لولا تجتهد؟"[63]

لكن، قد يدلُّ الفعل الماضي بعد هذه الأدوات على اللوم والتوبيخ على شيء ترك فعله أو تباطأ بالقيام به، ومنه قولك لمن قصّر في امتحانه: "هلّا أعددت للامتحان عدّته؟ ولمن تراخى وتباطأ في عمله: ألّا بدأت عملك؟"[64] كما أنَّه من الممكن أن يكون الفعل الماضي بعد أداة التحضيض دالًا على الحثِّ لا التوبيخ، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: لولا أخَّرتني إلى أجل قريب فأصَّدق" أي هلّا أخرّتني إلى أجلٍ قريب

[60] عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تع. مصطفى محمد عمارة، ط3، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1968م)، ج.1، ص.527.

[61] القرآن الكريم، النور: 22.

[62] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.17، ص.224.

[63] عتيق، علم المعاني، ص.109.

[64] عتيق، علم المعاني، ص.108.

لأصّدّقَ.[65]

19- استفهامُ التحقير والاستهانة: التحقير هو "عدُّ الشيء حقيرًا، أما الاستهزاء فعدم المبالاة به وإن كان كبيرًا في نفسه، وقد يتحدا محلًا مع اختلافهما".[66] ويُستعملُ الاستفهام أحيانًا لغرضِ التحقير والاستهانة، وهو استعمالٌ مجازيٌّ يقوم على علاقه اللزوم؛ فهو من قبيل المجاز المرسل، حيثُ يُذكرُ الاستفهام "الملزوم" ويُراد به التحقير (اللازم)، ذلك أنَّ السؤال عن شيء يستلزم الجهل به، والجهل به يُشعر بعدم الاعتناء به، مما يستلزم احتقاره والتقليلُ من شأنه.[67] وقد يُدرجُ هذا الأسلوبُ كما يرى بعضُ البلاغيين- ضمن الكناية أو مستتبعات التراكيب، لكونه يلمّح إلى المعنى دون التصريح به. ومن الشواهد عليه قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحة الذباب يضير[68]

فهو يسأل ساخرًا: أيمكن أن يؤذيني الذباب؟ والمراد أنَّ وعيد خصمه لا يعدُّ شيئًا ذا خطر، فهو تحقيرٌ واستهانةٌ بصيغة الاستفهام.

20- يُستخدم الاستفهام أحيانًا لا لطلب الجواب، بل يُقصدُ به التهكم والسخرية، ويُعدُّ هذا من مستتبعات التراكيب، إذ يُطلق الملزوم ويراد اللازم، فيمكننا قول إنَّ: "استعمال أداة الاستفهام فى التهكم من باب الكناية أو يجعل التهكمَ من

[65] الحسن بن أحمد ابن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، ط2، (دمشق: دار المأمون للتراث، 1993م)، ج.3، ص.230.

[66] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص.77.

[67] حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، 2006م)، ص.219.

[68] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج.3، ص.77.

مستتبعات الكلام"[69] كما في قوله تعالى: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أو أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾،[70] وفي قوله تعالى:﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بهذآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؟[71] فكلا المثالين يحملان لهجة سخرية مبطنة من أفكار مرفوضة بطريقة التهكم والسخرية من عقولهم.[72]

ويجري هذا النوع من الاستفهام أيضًا في الأسلوب التوبيخي، كأن تقول لشخص خالف مرارًا نصيحتك: "أجاهلٌ أنت؟ وذلك بعد أن نبَّهته ليحتاطَ عدةَ مرات، فتكون الغاية ليس السؤال، بل التوبيخ والتهكم.[73]

ثانيًا: نماذج تطبيقية

يقول الشاعر الهذلي عمرو ذو الكلب لامرأة أحبها:

---

[69] محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، (بيروت: المكتبة العصرية، 2007م)، ج.2، ص.397.

[70] القرآن الكريم، هود: 87.

[71] القرآن الكريم، الطور: 32.

[72] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م)، ج.3، ص.251.

[73] أبو الفتح عثمان ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف – عبد الحليم النجار – عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (مصر: وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1966م – 1969م)، ج.2، ص.291.

ألا قالت غَزيةُ إذ رأتني ألم تُقتَل بأرضِ بني هلال[74]

افتتح الشاعر بيته الشعري بأداة التنبيه "ألا" المركَّبة من الهمزة و(لا) الزائدة، التي تفيد في الأصل توكيد مضمون ما بعدها[75] قصدًا لإثارة السامع وتمهيدًا لما سيورده من معنى. ثمَّ أسند القول إلى "غزيَّة"، وهو اسمٌ مفرد مؤنث، وغَزية — بفتح الغين — اسمُ قبيلةٍ من طيّيء ومن هوازن أيضًا[76] أُطلِق أيضًا على فتاة. واللفظ في أصله **مشتقٌ من الفعل "غزا" على وزن فعيل الدَّال على التكثير والمبالغة**،[77] **كـ "سميع" من "سمع"**، فيقال: "غزا فهو غزيّ، وهي غَزيَّة، والاسم يوحي بكثيرة الفعل واشتهارها به.

وقد علِّق القول بظرف الزمان "إذ رأتني"، فجاء الفعل الماضي "رأتني" مصورًا للمشهد في لحظة زمنية خاطفة فتحت الباب أمامَ التساؤل الوارد في الشطر الثاني. وجاء الاستفهام "ألم تُقتل" مركبًا من الهمزة الداخلة على النفي، وهي إذا دخلت على النفي أفادت الإنكار أو التقرير، ومن المقام يتضح أن الاستفهام إنكاري لا تقريري، لأن المرأة تسأل من تراه أمامها عن مقتله، ولا يُعقل أن يكون مقتولًا، "تُقتل" مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ "لم" وعلامة جزمه السكون، من الجذر (ق-ت-ل) على وزن "تُفعل"، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، فالإنكار هنا جاء على سبيل التعجب والدهشة من حضوره حيًّا رغم شيوع خبر موته، ما يُضفي على الاستفهام

[74] أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، تح. عبد الستار أحمد فرّاج – محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1965م)، ص.566.

[75] ضياء الدين أبو السعادات ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، تح. محمود محمد الطناحي، ط1، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1991م)، ج.2، ص.76.

[76] الجوهري، تاج العروس، ج.39، ص.162.

[77] محمد بن السري ابن السراج، الأصول في النحو، تح. عبد الحسين الفتلي، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م)، ج.1، ص.347.

طابعًا التقريع والدهشة والذهول.

وجاء شبه الجملة "بأرضِ" بني هلال، لتحديد مكان الفعل، حيث أضيفت "أرض" إلى "بني هلال"، فأكسبها التعريف بالإضافة بعدًا تصوريًا يربط بين "القتل" وبين موضعه. ويجعل للجملة مشهدًا مكانيًا واضح المعالم.

ومن النَّاحية البلاغية، تتجلى في البيت مفارقة واضحة بين حضور الرجل أمامَ "غّزيَّة" حيًّا، وبين سؤالها الذي يفترض موته؛ مفارقة تجمع السخرية والدهشة معًا. وزادت أداة الاستفهام "ألم" من حدة المفارقة؛ لأنَّها تنطلق من خبر شائع لا شكَّ فيه، بينما تكذبه الرؤية الواضحة. كما يحتمل انطواء البيت على التهكم بالمخاطب، حاصَّة أنَّ الشاعر يعقِّب في البيت التالي بتوبيخ المرأة وإنكارِ سؤالها، قائلًا: أَسَرَّكِ لو قُتِلْتُ بأرضِ فَهْمٍ وهَلْ لكِ لو قتلْتُ غزيَّ مالِ[78]

أي ما الذي يعودُ عليك من فرحٍ لو أنني قتلت في تلك الأرض التي ذكرتها!

إذًا يختزل البيت صدمة "غَزيَّة" بسبب المفارقة الحاصلة بين حضورِ الشاعر وخبر موته الشائع، مجسدًا الدهشة والإنكار والسخرية، ليغدو الاستفهام أداةً تصوِّر التباس الواقع وتكذيب الوهم.

يقول أبو ضب الهذلي بعد أن أخذ بثأر رجل من هذيل، وكان لا يقتل من هذيل رجلٌ إلا اقتصَّ من قاتله، يقول مخاطبًا أبا إياس مفتخرًا أمامه:

هَلَاّ عَلِمتَ أَبَا إياسٍ مَشْهَدِي أَيَّامَ أنْتَ إِلَى المَوَالي تَصْخَدُ[79]

يفتتح الشاعر البيت الشعري بأداة التحضيض (هلّا)، وهي مركبة من (هل) الاستفهامية و(لا)، التي تفيد الحثَّ على الفعل مع تضمين معنى التوبيخ والتقري

[78] السكري، شرح أشعار الهذليين، ص.566.

[79] السكري، شرح أشعار الهذليين، ص.703.

على تركه،[80] ممَّا يكشف منذ البداية أنَّ طلب العلم من المخاطب لم يكن على حقيقته، بل تأنيب المخاطب على غفلته عن إدراك مآثر الشاعر، وتقصيره في ذكرها، ويأتي الفعل "علمت" ماضيًا دالًّا على التحقق والثبوت، كأنَّ الشاعر يقرر أمرًا مؤكدًا واقعًا لا يُرتاب فيه، ويُلزم المخاطب الاعتراف به لا سيَّما من خلال مناداته (أبا إياس) التي توحي بالتماس الإقرار منه، وفي النداء نبرة تشريف ظاهرية تحمل تنطوي على استعلاء وسخرية مبطنة.

ثمَّ يأتي لفظ "مشهدي" الذي يشكل محور الحديث، مفعولًا به، إذ يحاول الشاعر جذب العناية والاهتمام لتكون مشاهده في الحرب محلَّ حديث النّاس، ومشهدي مصدر ميمي من الفعل "شهِد"، والمصدر أصل الكلام يوحي بالثبات والديمومة، بخلاف الفعل الذي يدلُّ على الحدث العابر، فكأنَّ الشاعر يخلِّد مشهده البطولي ويثبته ككيان مستقل يُروى. وقد أضيف محور البيت إلى ياء المتكلم لتوكيده وانفراده به وخصوصيته، ممَّا يجعل شخصه علمًا لا يجوز نسيانه.

ثمَّ يحدِّد له الوقت أو الحدث الذي يجب أن يرتبط بذكره، إذ يطلب من المخاطب في اللحظة التي يستحضر فيها بطولاته ألا ينسى مواقفه مع الموالي، فقال في ذاك (حين كنت إلى الموالي تصخد)، والفعل (صخد) فعل ثلاثي قليل الدوران في العربية، من مادة (ص - خ -د) التي تدل على الخضوع والميل إلى الاستماع من أحد،[81] وقد ذكر السكري في شرحه (تصخد) بمعنى تصيح وتصرخ[82] وقد صيغ بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار، في مقابل مشهدي الدال على الثبات، ممَّا يعطي مقابلة دقيقة بين استمرار ذلِّ المخاطب لخضوعه للموالي، ودوام المجد عن الشاعر.

[80] الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، ج.2، ص.318.

[81] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح. محمد عوض مرعب، ط1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م)، ج.8، ص.127.

[82] السكري، شرح أشعار الهذليين، ص.703.

أمّا لفظ "الموالي" فجمع "مولى" الذي قد يطلق على العبيد أو على الحلفاء[83].

وفي هذه المقابلة يكمن جمال الوجه البلاغي الذي ينضوي في المقابلة بين المشهد البطولي في مقابل خضوع المخاطب للموالي. وهذا المقابلة تخلق إعلاء من شأن الشاعر وتحط من قدر مخاطبه. وعليه، فإنَّ الاستفهام التحضيضي الوارد في البيت الشعري يتضمن أكثر من معنى بلاغي، ففيه تذكير بفضل منسي، وتوبيخ على جهل صاحبه، وفي الوقت ذاته يحمل دعوة إلى الاعتراف بمقام الشاعر. وهذا التعدد البلاغي في الأسلوب يعكس ثراء الأسلوب الاستفهامي وغنى الأسلوب في الشعر الهذلي، إذ لم يستعمل لطلب المعلومة فحسب، وإنَّما لبناء موقف مليء بالتقريع.

وهكذا، قدَّم البيت صورة نمطية للتفاخر بمآثره جاعلًا إيَّاها معيارًا للسمو والشرف، إلّا أنَّه كسر تلك الصورة التقليدية بالمقارنة التي أجراها مع المخاطب الذي كان منغمسًا في خدمة الموالي انغماسًا يجعله الشاعر مذمومًا، فجاء الخطب الاستفهام التقريري التحضيضي التوبيخي أداةً لفضح ذلك التناقض وإبراز الفارق القيَمي بين الطرفين.

الخاتمة:

أظهرت الدراسة أنَّ الشعر العربي القديم وظَّف الأساليب البلاغية، ولا سيَّما الأسلوب الاستفهامي، لإيصال دلالات متنوعة تجاوزت المعنى الظاهري المباشر.

تبيَّن أنَّ الشعر الهذلي استثمر الاستفهام للتعبير عن انفعالاته؛ كالدهشة والحيرة والتوبيخ والسخرية والفخر، مما يعكس طبيعته الشعرية الخاصة.

أثبتت الدراسة أنَّ أدوات الاستفهام لا تُستعمل دائمًا على حقيقتها، بل تتحول إلى وسيلةٍ للكشف عن مراد المتكلم.

اتضح أنَّ كثيرًا من الاستفهام الوارد في شعر الهذليين جاء دون جوابٍ صريح؛ لأنَّه

[83] أحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج.2، ص.672.

يهدف إلى إثارة التفكير لا إلى الاستخبار الحقيقي.

بيَّنت النتائج أنَّ الغرض الشعري لا يتدلُّ عليه من اللفظ وحده، بل من خلال المقام الشعري والقرائن النصية والسياق المحيط بالنص.

يُعدُّ الاستفهام البلاغي من أبرز الأساليب الإنشائية التي تخرجُ عن معناها الأصلي إلى معانٍ مجازية تُستنبط من السياق لا من ظاهر الصيغة.

فهرس المصادر:

ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو، تح. عبد الحسين الفتلي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات، أمالي ابن الشجري، تح. محمود محمد الطناحي، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1991م.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد، البديع في البديع، ط1، بيروت: دار الجبل، 1990م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف - عبد الحليم النجار - عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مصر: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1966م – 1969م.

ابن عبد الغفار، الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، ط2، دمشق: دار المأمون للتراث، 1993م.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

ابن فورك، محمد بن الحسن أبو بكر، تفسير ابن فورك، تح: علال عبد القادر بندويش، ط1، السعودية: جامعة أم القرى، 2009م.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري التيمي، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزگين، القاهرة: مكتبة الخانجى، 1961م.

الأخفش الوسط، أبو الحسن المجاشعي، معاني القرآن للأخفش، تح: هدى محمود قراعة، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح. محمد عوض مرعب، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيُّن، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2002م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، الرسائل، تح. عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964م.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط3، القاهرة:

مطبعة المدني، 1992م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

حبنكة، عبد الرحمن ابن حسن، البلاغة العربية، ط1، دمشق: دار القلم، 1996م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، 1970م.

الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2007م.

ديُوزِي، رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، تع. محمَّد سَليم النعَيمي، ط1، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 2000م.

الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999م.

الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، النكت في القرآن الكريم، تح: محمد خلف الله - محمد زغلول سلام، ط3، مصر: دار المعارف، 1976م.

الزَّركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1967م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضب – تع: نعيم زرزور، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.

السكري، أبو سعيد، شرح أشعار الهذليين، تح. عبد الستار أحمد فرّاج – محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1965م.

السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني، تح. ياسر بن إبراهيم - غنيم بن عباس بن غنيم، ط1، الرياض: دار الوطن، 1997م.

السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

السيوطي، جلال الدين، التوشيح شرح الجامع الصحيح، تح. رضوان جامع رضوان، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1998م.

السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية 1988م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ، تح: خالد بن عثمان السبت، ط5، الرياض: دار عطاءات العلم، 2019 م.

الصابوني، حمد علي، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.

الطبري، ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت.

الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.

عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ط4، يرموك: دار الفرقان، 1997م.

عبد الرزاق، ابن همام الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، تح: محمود محمد عبده، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

عبد الرزاق، حسن إسماعيل، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، 2006م.

عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، ط1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 م.

العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1992م.

قاسم، محمد أحمد- ديب، محي الدين، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط1، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003م.

القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، بيروت: دار الجيل، د.ت.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م.

المبرّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم،

ط3، القاهرة: دار الفكر العربي، 1997م.

المعري، أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تح. سعيد المولوي، ط1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2008م.

المُعَلِّمي، عبد الرحمن بن يحيى، التعقيب على تفسير سورة الفيل للفراهي، تح. محمد أجمل الإصلاحي، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 2013م.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تع. مصطفى محمد عمارة، ط3، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1968م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، التفسير البسيط، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2009م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)